مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بجامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد:08/ العـدد01 جوان (2024)، ص.ص.33-41

أشكال توظيف الأندلس في الرواية العربية الحديثة
(رواية فتح الأندلس لجرجي زيدان وثلاثية غرناطة لرضوى عاشور أنموذجا).

The Forms of employment of Andalusia in the Modern Arabic Novel (The Conquest of Al-Andalus by Georgy Zidan and the Granada Trilogy by Radwa Ashour as a samples)

روابحي سعاد*
Rouabhisouad23@gmail.com
جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)

بوبعيو بوجمعة
hazmmm@live.fr
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2024/01/02 تاريخ القبول: 2024/05/26 تاريخ النشر: 2024/06/02

ملخص:
شكلت الأندلس مصدر تشكيل فني وإبداعي لدى الروائيين وانتقلت من التاريخ إلى المخيال، وتم استدعاؤها عبر عدة روايات رصدت تاريخها وحضارتها (الأحداث، الشخصيات، المتون الأندلسية)، وقد تباينت طرق وأشكال وغايات الاستدعاء لدى كل روائي، فكانت رواية فتح الأندلس لجرجي زيدان أولى الروايات العربية التي استدعت الحدث والشخصيات الأندلسية لغرض تعليمي وبطرق فنية بسيطة، بينما جاءت رواية رضوى عاشور –ثلاثية غرناطة – كمعادل موضوعي لأحداث العصر فأسقطت الروائية حدث سقوط غرناطة وما تبعه من معاهدات وأحداث أخرى على سقوط بغداد وتوقيع اتفاقية أوسلو بين فلسطين واسرائيل سنة 1993.
كلمات مفتاحية: *الأندلس –الاستدعاء –الشخصية الأندلسية –الحدث –النص الأندلسي.*

Abstract:
Andalusia is considered as an artistic and creative source for novelists and moved from history to imagination, and it was called through several novels that monitored its history and civilization (events, characters, Andalusian patrimony) which the forms of this calling were varied, for exemple : "The Conquest of Andalusia" by Jerji Zaidan was the first Arab novel that called the event and Andalusian characters for an educational purpose and in simple artistic ways, while Radwa Ashour's novel - Granada Trilogy - came as an objective equivalent to the events of the era, and she dropped the event of the fall of Granada and the subsequent treaties and other events on the fall of Baghdad and the signing of the Oslo between Palestine and Israel in 1993.
Keywords: *Andalusia; calling; the Andalusian character; the event; the Andalusian text.*

مقدمة:
شكلت الأندلس تيمة أساسية وموضوعا إبداعيا للروائيين العرب والغرب على حد سواء، وظلت تلقي بظلالها التاريخية والحضارية على أغلب أعمالهم، لأن القضية لا تتعلق بموضوع روائي هدفه التشكيل اللغوي أو الجمالي،

*المؤلف المرسل.

لكن الموضوع يتعلق بحضارة أمة عمرت أكثر من 08 قرون، وإنسانية شعب أبيد على بكرة أبيه، حضارة أنارت ظلمات أوروبا في القرن الوسيط ثم تساقطت مدنها كتساقط أوراق الخريف، مما حزّ في نفوس الروائيين وترك غصة في حلقهم، فانبرى كل واحد منهم يستدعيها في نصه تلميحا أو تصريحا، فكانت الأندلس كما قال عنها المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله من المواضيع التي تظل جديدة ولو تقادم عليها العهد، قديمة قدم تراثنا لأنها "زيتنا الذي لا ينضب، وأماننا التي لا تتوقف وفردوسنا المفقود الذي سنظل نبحث عنه...وتراثنا الذي تحدى الزمن وحبنا الذي لا ينطفئ لهيبه"[1]، جديدة بطريقة تناولها وبعناصرها المستحدثة، حيث انتقلت من التاريخ إلى المخيال عبر عدة روايات رصدت تاريخها وحضارتها من زوايا مختلفة وعبر مستويات عدة باعتبارها خطابا متعدد الأبعاد نظرا لاختلاف رؤى الروائيين وتباين إيديولوجياتهم، وهذا ما سأحاول رصده في هذا المقال الذي يهدف إلى إبراز حضور الأندلس في الرواية العربية من خلال نموذجين للدراسة –فتح الأندلس لجرجي زيدان وثلاثية غرناطة لرضوى عاشور وقد أخترت روايتين متباعدتين في تاريخ الصدور-فتح الأندلس صدرت عام 1904 وثلاثية غرناطة عام 1994 - لأرصد مدى التحول الدلالي لهذا الاستدعاء والغاية من وراءه.

فكيف كان هذا الاستدعاء؟ وما الهدف منه؟ وما أشكال وتقنيات هذا التوظيف؟ وكيف مارس الروائيان غوايتهما التخييلية على التوثيق التاريخي؟

وهذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذه الورقة البحثية.

1- الاستدعاء:

حاول الروائيون لي عنق الحقيقة التاريخية لصالح السرد الروائي وجعله منفتحا على الحاضر" فكان الاختيار الواعي المعتمد لمجال من مجالات التاريخ الماضي لإحيائه في سبيل الإنسان المعاصر وقضاياه"[2]، فجاء استدعاء الأندلس كتيمة مركزية وأصبح توظيفها بصفة واعية ومقصودة في الإبداع الروائي، والروائي الناجح هو من يحسن استخدام هذا الاستدعاء ويقوم بإضافة نوعية للقارئ تجعله مشاركا في هذا التوظيف عبر قراءات متعددة ومتجددة لهذا العمل، "لأن الذي يقود الروائي إلى مختلف الحقب التاريخية السابقة مدى حاجته وحاجة الإنسان المصيرية وعلاقة تلك الحقبة القريبة أو البعيدة ومدى قدرتها على الامتداد ولا الارتداد"[3].

فهناك من استدعى الحدث التاريخي وخاصة (الفتح والسقوط) بصفته مرجعا أساسيا للحدث الروائي، وهناك من استدعى الشخصيات الأندلسية التي ساهمت بالسلب أو الإيجاب في التاريخ الأندلسي كطارق بن زياد، وأبي عبد الله الصغير، وابن زيدون وغيرهم، بينما استدعى آخرون الأماكن والمدن الأندلسية كغرناطة وقرطبة وقصر الحمراء وماذا كانت تعني دلالتها بالنسبة لكل واحد منهم، فيما جعل روائيون آخرون نصوصا تاريخية أندلسية تتناص مع نصوصهم الحديثة لغايات إبداعية أو رؤى إيديولوجية، "لأن الرؤية هي خلاصة الفهم الشامل للفاعلية الإبداعية في نواحي النسيج والبنية والدلالة[4]

وقد تناول الروائيون الأندلس بشيء من الحنين والفخر تارة، وبمشاعر الخيبة والانكسار طورا، ولطالما كانت معادلا موضوعيا لأحزانهم في زمن المحن والهزائم النفسية والسياسية، فحاولوا إسقاط تاريخها على أحداث عصرهم.

2- غايات استدعاء الأندلس في "فتح الأندلس " و"ثلاثية غرناطة "

لقد كان جرجي زيدان من الروائيين الأوائل الذين كتبوا عن الأندلس محاولة منه لتسجيل التاريخ سرديا وتعليمه للناشئة في أسلوب شيق وجذاب يغري القارئ بمتابعة الأحداث إلى النهاية، وكان من كتاب المرحلة الأولى للرواية التاريخية العربية ومن بين الروائيين الأوائل الذين أدخلوا هذا الفن للقارئ العربي، اذ يمكن اعتباره أب الرواية التاريخية العربية، مثله مثل والتر سكوت عن الغرب .

فقد كتب ثلاث روايات عن الأندلس هي :**فتح الأندلس** و**عبد الرحمن الناصر**، و**شارل وعبد الرحمن** وكلها روايات ذات نزعة تعليمية واضحة هدفها التعريف بالتاريخ الإسلامي بصفة عامة والأندلسي بصفة خاصة عبر اختياره لنماذج عليا ذات تاريخ مليء بالكفاح والتحدي، طارق بن زياد فاتح الأندلس وعبد الرحمن الناصر الذي وصلت الأندلس في فترة حكمه إلى ذروة مجدها الفكري والسياسي والاقتصادي والذي جعل قرطبة محجا للجميع فتوافدت إليه السفارات من أوروبا طلبا لوده، وأنشأ بها أضخم مكتبة في عصره "لم يكن هدف زيدان من وراء رواياته يختلف عن

هدف المؤرخ الذي يريد وضع الحدث بين يدي القارئ، فالرواية من وجهة نظر الروائي أفضل وسيلة لنقل التاريخ وفق أسلوب مشوق وممتع يرغب الناس أكثر مما ينفرهم، لأن اللجوء إلى الرواية حيلة فنية بارعة لنشر التاريخ"[5] كما أن الرواية تقلل من رتابة الأحداث التاريخية وجفاف مادتها وتمنح للقارئ أفقا أرحب لخياله، ذلك أن مقصده هو التاريخ لا الرواية، مما يندرج ضمن ما عرف في تلك الفترة بالرواية التعليمية أو رواية المعلومة التاريخية غرضها تعليم التاريخ في قالب فني مشوق "فقد أعلن جرجي زيدان –صراحة-أن الغاية من وراء قصصه التاريخي هي تعليم التاريخ من خلال أسلوب شائق وجذاب حتى يتغلب على جفاف المادة وجهامة المعلومات التي يقدمها للقراء"[6]، وغالبا ما يلجأ الروائي إلى مزج أحداثه بقصة غرامية قصد تشويق القارئ وجلبه إلى متابعة الرواية .

أما رضوى عاشور في" **ثلاثية غرناطة**" فإنها تعيد قراءة التاريخ الإسلامي قراءة تاريخية تعيد فيه تركيب فهم الحاضر من خلال أحداث الماضي، حيث أسقطت الروائية هزيمة العرب في الأندلس وتسليم مفاتيحها للملكين القشتاليين على الهزيمة في حرب الخليج، من خلال مشاهدة صورة امرأة عارية وهي تتابع قصف بغداد على التلفزيون "غرناطة كانت معادلا لخوفي أثناء حرب الخليج وكنت صادقة"[7]، في بعد رمزي تحذيري، فسقوط بغداد أوحى لها بسقوط غرناطة وما حدث للموريسكيين بعد ذلك، بإسقاط تاريخي غرضه الاستفادة من أخطاء الماضي وحتى لا تتكرر مأساة غرناطة في بغداد، حيث اختارت فترة من أقسى فترات تاريخ الأندلس قتامة هي فترة السقوط وما تلاها من تبعات.

كما ربط بعض النقاد بين أحداث الرواية وبين ما حدث بفلسطين :انتفاضة الحجارة 1987 واتفاقيات أوسلو 1993 "أعادت رضوى تاريخ المسلمين في غرناطة وأسقطت ذاتهم المهزومة على واقع تعيشه فلسطين، فسقوط غرناطة واتفاقية تسليم المدينة للقشتاليين وكذا ثورة البشارات الأولى حيث كانت الحجارة هي سلاح المقاومين الغرناطيين ضد القشتاليين لا يمكن إلا أن يشير إلى انتفاضة 1987 في فلسطين المحتلة "[8]، مما جعلها تكتب روايتها " محذرة من نتائج اتفاقيات السلام"[9]

3- أشكال وتقنيات الاستدعاء :

لجأ الروائيون لطرق وتقنيات عدة من أجل استغلال هذا التوظيف وجعله تشكيلا فنيا وجماليا يتماشى مع الفكرة التي يسعون إلى إيصالها وهروبا من المساءلة التاريخية والفكرية في بعض الأحيان .

3-1- استدعاء الحدث:

يشكل الحدث التاريخي مرجعية أساسية للحدث الروائي، إذ يستند إليه في سرده لحقائق تاريخية ممزوجة بخيال المبدع، أو بمعنى أصح مزج الرؤية الواقعية بالرؤية الفنية، فيكون بذلك الحدث التاريخي بمثابة القالب الذي يصب فيه الروائي أحداثه المتخيلة فيسير الحدث التاريخي جنبا إلى جنب مع الحدث الروائي بل " قد يتناص معه حوارا أو مساءلة أو تجاوزا واعادة بناء وتشييد واقع متخيل ويتطلع إلى المستقبل"[10].

كما أن النصوص الروائية المستدعية للأندلس تتفاوت في درجة استنطاقها للحدث الأندلسي كونها تعتمد "على مقدار معرفة الدراس بالتاريخ الأندلسي، لأن الأديب لا يكتب بلغة التاريخ وانما بروحه وعبره، مما يجعل مهمة الدراسة والتخييل تحتاج معرفة كافية ليس فقط بالحدث التاريخي الأندلسي وإنما بملابساته وأبعاد استخدامه على صعيد الإبداع"[11].

وقد استثمر الروائيون الأحداث التاريخية في الأندلس وقدموها بطرق وأشكال مختلفة لغايات إبداعية وتأويلية معتمدين بذلك على حدثين هامين هما **الفتح الإسلامي للأندلس** على يد القائد طارق بن زياد سنة 701 م **وسقوط آخر معاقل المسلمين –غرناطة-** في أيدي القشتاليين سنة 1492م.

1.1.3 سقوط الأندلس :

لقد أخذ سقوط الأندلس الحيز الأكبر والمساحة الفنية الكبرى في هذا النوع من الروايات، لأنه لم يكن سقوطا عاديا، بقدر ما هو انهيار حضارة ومأساة إنسانية عجزت المجلدات عن وصف بشاعتها .

ففي رواية ثلاثية غرناطة : تضعنا الروائية رضوى عاشور أمام فترة تاريخية تفوق القرن عبر ثلاثة أجيال عاشت في غرناطة، حيث تبدأ الرواية عام 1491 م أياما قليلة قبل توقيع معاهدة التسليم وسقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس (غرناطة) وهو الحدث الرئيس المؤسس للقص في الرواية "الناس في غرناطة تسمع وتنقصى

وتجمع التفاصيل، وحين يعلن المنادي الخبر أو يعتلي إمام المسجد المنبر قبل صلاة الجمعة، يسهب فيه ويفسر، ويدافع عنه، ينصت الناس من باب التأكد أو المضاهاة، ويملؤون بأنفسهم الفراغات بالحقائق التي جمعوها وأسقطت من القول المعلن ".

ورغم أن المنادي لم يعلن، ولا إمام المسجد أشار إلى تفاصيل اجتماع الحمراء الذي أقر المعاهدة، فقد عرف أبو جعفر كغيره من أهل المدينة ما دار فيه "

ثم تقول على لسان أبو جعفر :كيف يتعهد ملك بتسليم ملكه ؟وكيف يقضي بتعهد قادة البلاد وفقهائها وكافة أهلها بأن يسلموا طواعية قلاع الحمراء وحصنها وأبراجها وأبواب غرناطة والبيازين وضواحيها "[12]

خوف الروائية من تكرار غرناطة في العراق جعلها تكتب روايتها محذرة، فسقوط غرناطة أوحى للروائية بسقوط بغداد "ربما يكون الحدث التاريخي هو محور الرواية، ولكن الكاتب يصنع منه معادلا لحدث مماثل في زمنه، ويتولى رسم الشخصيات والصياغة بروح معاصرة، وهو ما يعطيه التشكيل الروائي وفقا لموضوعه وتصوراته"[13].

وقد حاولت الروائية توظيف الحدث التاريخي الهام في لحظة التسليم وهو معارضة موسى بن أبي الغسان للمعاهدة وتضارب الآراء حول نهايته وذلك عبر تداوله على ألسنة أكثر من شخص، وهو ما أشار إليه الكاتب نضال الشمالي في كتابه الرواية التاريخية "يروى الحدث التاريخي عن طريق تداول أكثر من شخصية على سرده ومن أوجه مختلفة رغم أن وراءها سارد واحد، مما يساعد على تبلور الحدث واتضاح معالمه أكثر "[14]

وهذا ما نجده في الحوار الذي دار حول اختفاء موسى بن أبي الغسان :

"قال البعض إن ابن أبي الغسان خرج من قصر الحمراء وقرر أن يقاتل القشتاليين وقاتل جموعهم وحده، ولما أصابوه وكادوا يظفرون به ألقي بنفسه في النهر "

وقال البعض الآخر بل قتله محمد الصغير لينفذ ما يريد دون مخالفة ولا معارضة، سلم الشقي المنحوس البلد وباعها، وما كان بإمكانه أن يفعل وابن أبي الغسان يقف له بالمرصاد "

وقال فريق ثالث :لا أغرق نفسه ولا قتلوه، بل صعد إلى الجبال ليدرب الرجال ويستعد .

وقال فريق رابع :غرق أو لم يغرق لا فرق، ليس هذا زمانه ولا زماننا، فلنحمل ما نقدر عليه من متاع ونرحل فبلاد الله واسعة، أو نبقى مسلّمين أمرنا لله وللأسياد الجدد ونعيش"[15]

فمن خلال هذا المشهد الحواري حاولت الروائية إيصال معلومات تاريخية في قالب فني مقنع، وهذا "اللون من تقديم التاريخي في ثوب السرد يخفف من حدة المسؤولية التاريخية المناطة بالروائي"[16]

كما حاولت توظيف أحداث تاريخية أخرى بعد نقض بنود الاتفاقية كمنع استعمال اللغة العربية وحضر اللباس العربي والاحتفالات الدينية وغيرها من خلال رصدها ليوميات نعيم -الشخصية الرئيسية في الرواية -وأسرته الموريسكية .

2.1.3 فتح الأندلس : يعتبر فتح الأندلس من أقل أحداث تاريخ الأندلس تناولا من قبل الروائيين، ولعل جرجي زيدان في روايته "فتح الأندلس" هو الروائي الوحيد الذي تعرض لهذا المشهد الفني التاريخي وقد مثلت أعماله "التي اعتمد فيها على التاريخ العربي الإسلامي القديم تجربة مبكرة في توظيف الحدث التاريخي وتقديمه على شكل حكائي"[17]،الهدف منه نقل التاريخ وفق أسلوب شيق ومبسط قصد استيعابه من طرف الناشئة.

إذ حاول الروائي الابتعاد عن التأويل الايديولوجي للتاريخ واقتصر على تقديم المرحلة التاريخية كما أوردتها المصادر التاريخية مع ملئ الفراغات بقصة غرامية جمعت بين ألفونس وفلورندا ابنة الحاكم يوليان التي حاول الملك لذريق الاعتداء عليها.

يقول في بداية الرواية :

"الأندلس إحدى مقاطعات اسبانيا واسمها في الأصل وندلوسيا نسبة إلى الوندال أو الفندال وكانوا قد استوطنوها بعد الرومان، فلما فتحها العرب سموها الأندلس، ثم أطلقوا هذا الاسم على أسبانيا كلها .

وكانت هذه البلاد جزءا من مملكة الرومان الغربية إلى القرن الخامس للميلاد فسطا عليها "القوط " وهم من القبائل الجرمانية الذين رحلوا من أعالي الهند إلى أوروبا طلبا للعيش والمرعى، وأقاموا في بواديها .

وقد سيطر القوط على مملكة الرومان الغربية فبل سيطرة العرب على المملكة الشرقية ببضعة قرون وأنشأوا المسالك في فرنسا وألمانيا وأنجلترا وغيرها من دول أوروبا الباقية إلى الآن .

وكان في جملة تلك القبائل قبيلة القوط الغربيين "فيسيقيوط" فسطت على إسبانيا في القرن الخامس وانتزعتها من الرومانيين وأنشأت فيها دولة قوطية انتهت بالفتح الإسلامي سنة 92هـ(711م) على يد طارق بن زياد القائد الشهير[18].

فالمقدمة التاريخية التي سردها الروائي كانت بداية لأحداث تاريخية سبقت الفتح الإسلامي للأندلس" وتكاد تكون سمة الروايات التاريخية في مرحلتها الأولى اشتغالها بالمرجعية التاريخية لغايات تاريخية ظاهرا، وهذا ما ينطبق على روايات جرجي زيدان ومحمد فريد أبو حديد، وعلى الجارم، وغيرهم من كتاب المرحلة الأولى في الرواية التاريخية"[19]

كما صورت الرواية الحدث الهام في تاريخ الأندلس وهو الفتح، فوصف المعركة التي انهزم فيها جيش لوذريق وتوفي وهي معركة الفتح :

"وكان القتال قد بدأ وتطايرت السهام وتلألأت السيوف وعلا ضجيج الرجال وصهيل الخيول وصلصلة اللجم، والملك في قلب الجيش وحوله فرسانه وأعلامه وجنوده، وأوباس يطوف بالجيش في جواده وقد نزع قلنسوته فاسترسل شعره على كتفيه وظهره وامسك زمام الجواد بيسراه ورفع يمناه يحمل بها صليبا مربعا وهو يستحث الجند على الثبات والصبر "[20].

كما استدعى الروائي حادثة إحراق السفن التي قام بها القائد طارق بن زياد في بداية المعركة :

وكان طارق بن زياد في أثناء المعركة يجول على جواده ويحرض المسلمين على الثبات، ويكافح ويجالد ويقاتل لا يبالي بقلة رجاله بالنسبة إلى رجال القوط ...ولكنه صمم على التفاني في سبيل الفتح منذ وطيء الأندلس ...فأحرق سفائنه حتى ييأس رجاله من التعلق بها أو الالتجاء إليها إذا غلبهم القوط، ولذلك لم يبالي بكثرة عدوه أو قلته، وإنما كان همه وهم من معه الصبر والثبات "[21]

3- 2 استدعاء الشخصيات التاريخية الأندلسية:

تعد الشخصية التاريخية من المعضلات التي ترهق الروائي وتأسره، لأنها شخصية جاهزة ومحددة مسبقا، فقد حددت كتب التاريخ دورها وملا محها، مما يقلل من حرية الروائي ويمنحه مساحة أقل للتصرف في توظفيها، مما حدا بالروائيين باللجوء إلى طرق فنية للتخلص من الهيمنة التاريخية للشخصيات الحقيقية .

ذكر الكاتب محمد رياض وتار في كتابه" توظيف التراث في الرواية العربية " ثلاث طرق فنية اعتمد عليها الروائيون للهروب والتخلص من عبء الشخصية التاريخية[22] وهي:

1.2.3 -الاستدعاء بالاسم: وهو أن يستدعي الروائي الشخصية التاريخية بالاسم ويوظفها في المتن الروائي.

كما أن استدعاء الشخصيات التاريخية في الرواية لم يكن اعتباطا قصد إدراجها في المتن الروائي، إنما غاية هذا الاستدعاء هو تحويلها إلى رموز دالة على شخصيات حقيقية في عصرنا الحالي، والروائي لا يختار شخصياته بشكل عشوائي وإنما" ينتقي مواقفا وأحداث وشخصيات تراثية تساير طبيعة الواقع الحاضر ويوظفها توظيفا فنيا معتمدا على الدلالات الإيحائية والإسقاطات الرمزية "[23]

وفي رواية "فتح الأندلس" لجرجي زيدان استدعى الروائي شخصية "طارق بن زياد" بصفتها شخصية ذات مرجعية تاريخية لا تحيل إلا على نفسها، شخصية جادة وصارمة كما وصفته كتب التاريخ مقدما بعض أبعادها الجسمانية: "نظرا الفارس فإذا هو طارق بن زياد قائد ذلك الجند... فخيل له وهو ينظر إليه أنه حبل على فرس وقد أزاح عمامته إلى ما وراء جبينه، فبان من تحتها جبين عريض تحته حاجبان غليظان، تحتهما عينان أحمّر بياضهما من الجهد في الذهاب والإياب وله شفتان غليظتان ولحية شعرها شديد السواد"[24].

2.2.3 -الاستدعاء بالفعل : هو أن يستدعي الروائي الشخصية التاريخية من خلال فعل شهير قامت به وهذا ما أوردته الروائية رضوى عاشور في روايتها " ثلاثية غرناطة" حيث استدعت شخصية موسى بن أبي الغسان من خلال ردة فعله الشهيرة وهي رفضه لمعاهدة الاستسلام وتضارب الآراء حول مصيره، ويتضح ذلك من خلال الصفحات الأولى من الرواية، حيث كان حضوره سريعا كطيف متاه، فتقول :

" اعترض موسى ابن أبي الغسان على الاتفاق، وطالب الحاضرين برفضه، ولما لم يجد من يسانده غادر القصر غاضبا واعتلى حصانه واختفى"[25].

3.2.3 -الاستدعاء بأقوال الشخصيات:

استدعى جرجي زيدان في روايته" فتح الأندلس" شخصية الوليد بن عبد الملك غير مقولته الشهيرة" ولا يغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال[26] وهي العبارة التي قالها عندما استأذنه موسى بن نصير في فتح الأندلس.

وقد أوردها الروائي بين علامة تنصيص دون نقصان أو زيادة، وهي من الطرق التي يلجأ إليها الروائيون قصد إضفاء الحقيقة التاريخية على أعمالهم الفنية، فيقول جرجي زيدان في معرض حديثه عن هذه الحادثة التاريخية :

"فلما عرض بوليان على موسى فتح الأندلس على أن يكون هو عونا في ذلك بعث موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يستأذنه، فأذن له، على أن يخوضها بالسرايا(ولا يغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال) فرأى موسى أن يجرب ذلك برجال من موالي المسلمين من غير العرب، ولم ير خيرا من طارق يوليه تلك الحملة"[27]

3- **3-توظيف النص التاريخي الأندلسي:** حاول الروائيون انتقاء نصوص تاريخية أندلسية وإدخالها إلى الرواية وجعلها منسجمة ومناسبة مع نصوصهم الحديثة حتى تؤدي غرضا فكريا أو فنيا أو كليهما، فدلفت النصوص الأندلسية بصفتها نصوصا تراثية قديمة إلى المتن الروائي الحديث لعدة اعتبارات " واذا كان النص يعكس حال الماضي بكل ما فيه، فإنه يرتد إلى الحاضر ويقترب منه في كثير من الصور ...نقرأ من ذواتنا وأحوالنا من خلاله لأجل هذا أو ذاك كان انبعاث النص الأندلسي في النص المعاصر "[28]

وقد اعتمد الروائيون في استدعاءهم للنصوص التاريخية الأندلسية وجعلها تتناص مع متنهم الروائي عبر تقنيتين:

1.3.3- خارج السياق النصي: حيث يرد كعتبات خارجية (كالعنوان) أو في مقدمة الرواية أو أجزاءها أو الهوامش.

2.3.3- داخل السياق النصي: إما أن يحافظ النص التاريخي على بنيته وشكله فيرد كما في المصادر التاريخية محصورا بين قوسين صغيرين، وهنا لابد من قطع السرد الروائي لإدخال النص التاريخي، أو يتماهى مع السرد الروائي ويصبح جزءا منه"[29].

فخلف كل نص حديث تتوارى نصوص قديمة "فالنص الذي يستعيد التاريخ ليس غير رجع لنصوص تراثية أخرى يتجاوب معها ويحاورها ويعيد استنطاقها خلال الوعي التراثي في نسيج جديد، يصل منه الكاتب إلى توليد بنى جديدة يتكون منها الخطاب الروائي المعاصر"[30].

والنصوص القديمة سواء كانت تاريخية أو دينية أو غيرها التي تتداخل مع النصوص الروائية الحديثة هي بمثابة مرجعيات تؤدي عدة وظائف، ففضلا عن الوظيفة الجمالية هناك وظائف أخرى يحاول الروائي الإفادة منها في عمله الروائي " هذا التداخل يكون في أحيان كثيرة ضمن عملية واعية تحكمها رؤية جمالية يخطط لها الروائي مسبقا، فالاتكاء على التاريخي والديني والأسطوري تحكمه غايات كثيرة يتضح بعضها في نص الرواية ويغيب أغلبها، لينفتح الخطاب الروائي على قراءات وتأويلات متعددة "[31]

وهذا ما حاول الروائيون القيام به في تعاملهم مع النصوص التراثية الأندلسية، حيث تم استدعائها عبر عتبات نصية خارجية كالعنوان على اعتبار أنه(أي العنوان) يمثل بطاقة النص التعريفية وهويته، ويؤدي عدة وظائف أهمها الوظيفة الايحائية والوظيفة الدلالية "فمن الناحية الدلالية فقد يحمل ذاتية مباشرة تحيل على شخصية رئيسية أو محورية... أو إلى مكان عندما يشمل مساحة مهمة ومحورية من فضاء النص"[32].

كما أن العنوان هو أول ما يلفت انتباه القارئ ويجذبه ويغريه بالقراءة والتأمل "إنه العتبة الأولى من عتبات النص، تدخلنا إلى اكتشاف النص وتميزه عن غيره من النصوص "[33].

ف**ثلاثية غرناطة** لرضوى عاشور التي تدور أحداثها في مدينة غرناطة أياما قبل التسليم آنذاك، و"**فتح الأندلس**" لجرجي زيدان التي تحكي الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للأندلس قبل الفتح ثم الفتح على يد طارق بن زياد، عناوين لروايتين اختارتا من مدن الأندلس مسرحا لأحداث روايتهما، حيث اختارت رضوى عاشور مدينة غرناطة بشوارعها وأحيائها كحي البيازين والبشرات اللذان يحكيان قصة صمود أسرة تشبثت بأرضها حتى الطرد النهائي، بينما أختار جرجي زيدان مدينة طليطلة مسرحا لأحداث روايته كونها كانت عاصمة القوط قبل الفتح،

والعنوانين كليهما "علامة لغوية تتموقع في واجهة النص لتؤدي مجموعة من الوظائف"[34]، أولاهما وظيفة الإغراء والجذب أو الوظيفة الإشهارية .

بينما استحضر جرجي زيدان نص خطبة طارق بن زياد كاملة كنوع من التوثيق التاريخي لروايته، وهي من "الأساليب المتميزة في الرواية أو القصة عموما حفاظ الكاتب على نصية القول لدى الراوي أو أي متدخل آخر لإعطاء الشرعية والمصداقية لهذا القول... وإزالة رتابة السرد أوالحكي والحد من سيولة الحديث عند الراوي أو الشخصية، ومنها تقوية القول وإنزاله منزلة الاستشهاد أو المرجعية أو إنزاله منزلة الحجة أو الوثوقية والتوثيق "[35]

يقول الروائي في متن روايته ص194،193:

"أيها الناس، أين المفر؟ إن العدو أمامكم والبحر وراءكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ريحكم ...فأدفعوا عن أنفسكم خذلان هده العاقبة بمناجزة هذا الطاغية ...وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا أبدأ بنفسي، وأعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا أستمتعتم بالرفه الألذ طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ...وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ...وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى ...وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا اليوم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم من بعده يخذلون"[36]

4-خاتمة:

شكلت الأندلس تيمة حضارية وموردا فكريا وفنيا للروائيين، فكان استدعائها بطرق مختلفة ووفق غايات متباينة ، فكانت تجربة جرجي زيدان رائدة في توظيف الحدث الأندلسي-الفتح الأندلسي - وتقديمه في شكل حكائي غرضه تعليمي وفق بنية تقليدية بسيطة، بينما قدمت رضوى عاشور التاريخ الإسلامي في بلاد الأندلس في أقصى فترات الانحدار والسقوط برؤية فنية جديدة للتعبير عن القضايا العربية المعاصرة، فتجاوزت توظيف الأندلس لأجل غايات تعليمية لغايات أعمق، هي الإسقاط التاريخي والاستفادة من أخطاء الماضي .

-الشخصيات التاريخية التي استحضرها جرجي زيدان كانت بمثابة شخصيات ذات مرجعية تاريخية لا تحيل إلا على نفسها، فكانت شخصيات جاهزة كما وصفتها كتب التاريخ بأبعادها الجسمانية والاجتماعية، بينما عمدت رضوى عاشور إلى إقصاء الشخصيات التاريخية من الحدث واعتمدت على شخصيات متخيلة لكنها واعية بحجم الكارثة هروبا من مزالق التاريخ معتمدة بذلك على الدلالات الإيحائية والإسقاطات الرمزية للأسماء والمهن، فأبو جعفر الوراق ناسخ الكتب - الشخصية الرئيسة في الرواية - الذي سعى جاهدا وبكل ما أوتي من قوة وعزم خلال الرواية للحفاظ على كتبه من التلف أو الحرق في إشارة إلى التشبث بالأرض والهوية، بينما يشير الاسم إلى أبو جعفر المنصور بن أبي عامر الذي حاول استرجاع مجد الأندلس من خلال غزواته وحروبه .

-رواية فتح الأندلس من الروايات التي استدعت التاريخ لغايات تعليمية – وهي أولى مراحل الرواية التاريخية –بينما ثلاثية غرناطة هي رواية الإسقاط التاريخي التي اتخذت من التاريخ الأندلسي معادلا موضوعيا لأحداث العصر .

-أعادت رضوى عاشور تاريخ المسلمين في غرناطة وأسقطت هزيمة العرب في الأندلس ومعاهدة تسليم غرناطة للملكين القشتاليين على هزيمة العرب في حرب الخليج وتوقيع اتفاقية أوسلو .

5.قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتاب العربي الحديث أو المترجم:

1. إدريس الكربوي، بلاغة السرد في الرواية العربية (رواية علي القاسمي، مرافئ الحب السبعة نموذجا)، منشورات الضفاف، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2014.
2. جرجي زيدان، فتح الأندلس، مراجعة وتقديم: فورغيتش جمال الدين، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2013
3. حسين خالد، في نظرية العنوان، دار التكوين، دمشق، سوريا 2007.
4. حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)،دار الأيمان والعلم للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر ط1، 2008 .
5. رضوى عاشور، ثلاثية غرناطة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، .1994

6. رياض محمد وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002.
7. رياض محمد وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002
8. ساندي سالم أبو سيف، الرواية العربية وإشكاليات التصنيف، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، .2008
9. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، د،ط، عالم المعرفة، الكويت، عدد 164، 1982.
10. عبد الرحمن ياغي، البحث عن إيقاع جديد في الرواية، دار الفارابي للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
11. عبد الرزاق حسين، الأندلس في الشعر العربي المعاصر (دراسة)، مؤسسة سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004.
12. عبد الله ابراهيم، المتخيل السردي (مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة)،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1999.
13. عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، ديوان المطبوعات، الجامعية، 1995، بن عكنون، الجزائر .
14. فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية (دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009
15. محمد القاضي، الرواية والتاريخ (بحث في تخييل المرجعي)، دار المعرفة للنشر، تونس، ط 1، 2008.
16. محمد عبد الله الجعيدي، أعندكم نبأ، استدعاء الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث، دار الهادي للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط1، 2002.
17. مراد عبد الرحمن مبروك، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر (1914-1986)، دار المعارف، ط 1، 1991.
18. مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية في نهاية القرن 19، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، مصر،1999.
19. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج1،تحقيق :إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988
20. نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2006.

ثانيا: المقالات:

1- سمير إقبال، 2005، رمزية سقوط غرناطة في ثلاثية سقوط غرناطة لرضوى عاشور، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، العدد 66.
2- الجحمري عبد الفتاح، 1987، هل لدينا رواية تاريخية، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 16،العدد 3.

6- الإحالات والتهميش

1عبد الرزاق حسين، الأندلس في الشعر العربي المعاصر (دراسة)مؤسسة سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت 2004،ص09.
2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3 عبد الرحمن ياغي، البحث عن إيقاع جديد في الرواية، دار الفارابي للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1995،ص95.
4عبد الله ابراهيم، المتخيل السردي (مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة)،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط1، 1990،ص.05
5حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)،دار الأيمان والعلم للنشر والتوزيع، كفر الشيخ مصر، ط 1، 2008،ص19.
6المرجع نفسه، ص15.
7 رضوى عاشور، رواية أطياف، منتدى الإسكندرية، القاهرة، مصر، أكتوبر 1997،ص246.
8 إقبال سمير، رمزية سقوط غرناطة في ثلاثية سقوط غرناطة لرضوى عاشور، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، العدد 66،ربيع 2005،ص 174.
9 أنظر محمد القاضي، الرواية والتاريخ (بحث في تخييل المرجعي)، دار المعرفة للنشر، تونس 2008،ط1، ص61.
10 عبد الفتاح الجحمري، هل لدينا رواية تاريخية، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 16،العدد 3،شتاء 1987،ص.63
11 محمد عبد الله الجعيدي، أعندكم نبأ، استدعاء الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث، دار الهادي للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص75.
12 رضوى عاشور، رواية ثلاثية غرناطة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1994،ص12،11.
13حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)،ص 347.
14نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2006،ص218، بتصرف.
15 رضوى عاشور، ثلاثية غرناطة، ص11.
16 رياض محمد وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا 2002،ص111.
17 ساندي سالم أبو سيف، الرواية العربية وإشكاليات التصنيف، دار الشروق، عمان، الأردن، ط2008،1،ص199.
18 جرجي زيدان، رواية فتح الأندلس، مراجعة وتقديم :فوغيش جمال الدين، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط2013،1،ص5.
19 نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)،ص213.
20 جرجي زيدان، رواية فتح الأندلس، ص203.

21 المرجع نفسه، ص 209.
22 رياض محمد وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة (دراسة)،ص114،بتصرف.
23مراد عبد الرحمن مبروك، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر (1914-1986)،دار المعارف ط1991،1،ص38.
24 جرجي زيدان، رواية فتح الأندلس،ص.193
25 رضوى عاشور، ثلاثية غرناطة،ص12.
26 وردت العبارة في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري، مج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1988،ص223.
27جرجي زيدان، رواية فتح الأندلس، ص 123.
28عبد الرزاق حسين، الأندلس في الشعر العربي المعاصر (دراسة)،ص09.
29رياض محمد وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، ص146،145،144،بتصرف.
30 مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية في نهاية القرن 19، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، مصر،1999،ص97.
31فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية (دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف)،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2009،1،ص250.
32 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، د،ط، عالم المعرفة، الكويت، عدد 1982،164،ص.236
33 عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)،ديوان المطبوعات، الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص272.
34حسين خالد، في نظرية العنوان، دار التكوين، دمشق، سوريا 2007،ص96.
35 ادريس الكربوي، بلاغة السرد في الرواية العربية (رواية علي القاسمي، مرافئ الحب السبعة نموذجا)، منشورات الضفاف، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط2014،1،ص 233.
36 ورد نص الخطبة في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري، مج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1988،ص241،240.